الأمير الشاعر المؤرخ ضاري الرشيد

صاحب «نبذة تاريخية عن نجد»

■ عمه حمود أكثر منه شعراً ولكن ضاري أجود بحسب الجاسر !

■ كلام العريفي بخصوص الاسم غير دقيق !

■ شهرته التي اكتسبها بعد وفاته لم تكن نتيجة شاعريته !

■ الوثائق التاريخية تؤكد ان تاريخ وفاته خلاف ما ذكر الجاسر !!

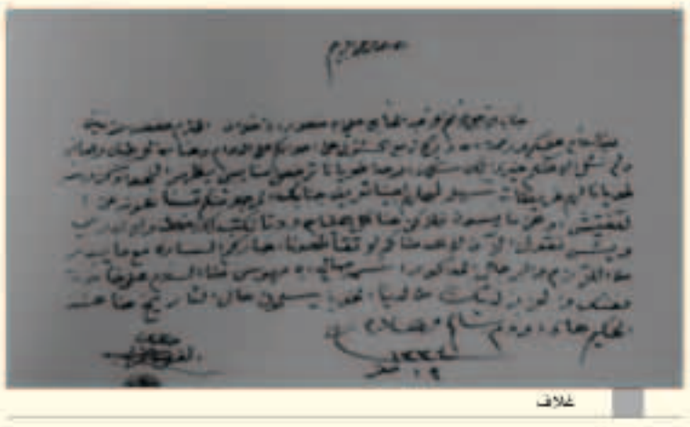

غلاف

الشاعر ضاري بن فهيد بن عبيد العلي الرشيد ، من أسرة الرشيد أمراء حائل ، ذكر فهد العريفي أنه لا يوجد في أسرة الرشيد أحد باسم «ضاري غيره ،وأن الاسم غير شائع في الجبلين إلا لشخص واحد هو ضاري بن طوالة زعيم الأسلم ، وكلام العريفي في هذا غير دقيق.

قال عنه الشيخ حمد الجاسر : «يعتبر ضاري من مجيدي شعراء الأسرة الرشيدية بعد عبدالله الأول ويعد عبيد على أن عمه حمودا أكثر منه شعرا ولكن ضاري أجود» كما أشار إلى إلمامه بمعرفة منازل القمر وحساب النجوم على الطريقة المعروفة في نجد ، وقال : يظهر أن له حظ من التعلم فهو يحفظ اشعارا فصيحة يستشهد بها ويعرف طرفا مما ورد في بعض المؤلفات الجغرافية عن بعض الأمكنة ،و رغم جودة شعر ضاري التي أشار الجاسر إليها إلا أنه لم يصلنا من شعره إلا نماذج محدودة فالصويان مثلا في فهرست الشعر النبطي لم يذكر له إلا قصيدتين : الأولى جاءت عند الدويش في ديوان حمود الناصر من خمسة أبيات أولها :

سرنا ويا والي السموات اعنّا
سمّح لنا درب الهدى والرشاد

والثانية جاءت عند الفهيدج6 من 12 بيتا أولها :

من عاش في الدنيا يشوف العبايرِ
بالحال يمزج حلوها مع مراره

إلا أن شهرة ضاري الرشيد التي اكتسبها بعد وفاته لم تكن نتيجة شاعريته ولكنها جاءت عن طريق النبذة التاريخية عن نجد التي أملاها على الأديب اللبناني وديع البستاني اثناء علاجه في مدينة بومباي بالهند سنة 1331هـ ، والتي حققها حمد الجاسر ونشرها وكانت بعنوان «نبذة تاريخية عن نجد» سنة 1386هـ ، ثم حققها بعد ذلك الدكتور عبدالله العثيمين ونشرتها الأمانة العامة للمئوية سنة 1419هـ.

نبذة عن حياته :

يشير العثيمين إلى ولادته في حائل مركز الإمارة الرشيدية في أواخر العقد الثامن من القرن الثالث عشر تقريبا ،كان معاصرا لعبدالعزيز بن متعب بن رشيد و قد حضر جل وقعاته ومنها وقعة البكيرية سنة 1322هـ ، وقال عنه البستاني سنة 1331هـ :«مملوء هذه النبذة أحد أبناء الرشيد الذين عاشوا يتمتعون برضا البيت السعودي و كان قد جلا عن نجد على أثر محاولته الأخيرة الاستيلاء على الحكم بقتل الحاكم في حينه فانتهى به الطواف إلى البصرة حيث ظهر فيه مرض عضال شخصه حكيم البصرة الانجليزي الأشهر بكيس يعيى مادة في الخاصرة وأشار بفتح بطنه لاستئصاله على يد جراح انكليزي شهير في بمباي فقدمها ونزل على الشيخ عبدالرحمن آل إبراهيم التميمي النجدي ملك اللؤلؤ في زمنه ،الذي استأجر لضاري قصرا صغيرا يقيم فيه بحاشيته وكانوا أربعة ومن خصص له من خدم طيلة مدة علاجه كنت جليسه الملازم وأملا علي هذه النبذة بطلب مني فدونتها بلفظه ....»

وفي حين يرى الجاسر أن ضاري كان من المعارضين لحكم عبدالعزيز بن متعب الرشيد ، يذكر السويداء في قفافيت ،ج2/565، أنه كان من شأنه أنه الظهر تضجره وتأمله إزاء ابن عمه عبدالعزيز بن متعب بن رشيد في أكثر من موقف مما دعاه أن يجسد هذا التذمر والضيق بهذه الأبيات:

الله من قلب ذبيل كبد راعيه
دلا يلوّح مثل شمس المراة
إن كان باقي عمرنا مثل ماضيه
يا عنك ما تسوى ريال حياتي
هذا زمان كاثرات بلاويه
وأخير ما حنّا عليه السكات

قال الجاسر :فبلغت هذه القصيدة عبدالعزيز بن متعب فقال :لماذا لم يقل :

يامن لوجه دابل كبد راعيه
دلي يتقلب مثل لون الشواة

ورغم ذلك فالدكتور العثيمين يرى أنه لم يكن له أي خلاف مع عبدالعزيز بن متعب الرشيد بدليل مشاركته في وقعاته وأن رده على أبيات ضاري ربما كان من باب المزاح ، ولكنه لا يستبعد تأييده لأبناء عمه حمود وهم سلطان وسعود وفيصل الذين قاموا باغتيال متعب بن عبدالعزيز بن متعب الذي خلف أباه في الأمارة سنة 1324هـ.

ويشير الجاسر إلى أنه بعد موت سعود بن حمود سنة 1326هـ اصبح آل عبيد ومنهم ضاري غير آمنين ، وهذا من أسباب هرب ضاري من حائل متنقلا بين مكة والرياض والعراق وينقل الجاسر عن الأستاذ فهد المارك قوله :« أن ضاريا لو لم يهرب لقتل » بتصرف ..

ويبدو أنه غادر حائل إلى المدينة المنورة ، وذكر فهد العريفي أن ضاري الرشيد اتجه من المدينة المنورة ومعه حوالي 12 ذلولا عليها بعض اصحابه إلى مكة المكرمة واستقبلهم الشريف ثم ذهب إلى العراق وعاد منه وبقي في العراق ابن أخيه واسمه «محمد العبدالمحسن الرشيد» ثم أخذ يتردد على الرياض ، أما هو فقد ظل تحت رعاية الملك عبدالعزيز حتى توفي وعندما اشتد عليه المرض بعثه الملك عبدالعزيز إلى الهند للعلاج ـ1.

ولكن الجاسر قال :«وقد قام برحلة إلى الحجاز في عهد الشريف حسين ثم عاد إلى الرياض ، فهل هذا يعني أن ذهابه للعراق كان من الرياض ؟!

ونشرت مجلة الواحة في عددها الثالث والخمسين رسالة موجهة من ضاري الرشيد إلى علي بن منصور بن أخوان مؤرخة في 19 صفر 1334هـ، وعلي بن منصور بن أخوان من أعيان القطيف والذي يظهر انه كان مسئولا عن جمارك القطيف في تلك الفترة ، ويترجح لدي أن ضاري الرشيد كتب هذه الرسالة وهو في البحرين ومن مضمون الرسالة يتضح وجود بعض المرافقين معه ومنهم صالح بن مهوس الذي رغب في الذهاب إلى نجد فأرسل معه البقية هدايا لأهاليهم فيطلب ضاري إعفاءه من الجمارك ،ويتضح وجود معرفة سابقة بين ضاري الرشيد وعلي منصور اخوان.

ويستشهد الدكتور العثيمين بالمؤرخ إبراهيم بن محمد القاضي ،1284.1346هـ، في كون الشريف حسين أرسل ضاري الرشيد سنة 1337هـ برفقة «ابن عريف» على رأس جيش إلى نجد وكان مقصدهم إلى دخنة وتقابلوا معهم وهزموهم أهل دخنة في العاشر من رمضان!!

وتتساءل هنا هل ضاري الرشيد التحق بالشريف حسين أولاً ، ثم التحق بالملك عبدالعزيز ، ليعود مرة أخرى إلى الشريف حسين ، معاديا للملك عبدالعزيز بدليل ماذكره القاضي حول غزوه مع «ابن عريف» على الأخوان في دخنة ؟!

وفي حين يرى الجاسر وغيره أن ضاري توفي في الهند سنة 1331هـ إلا إن هذا الكلام غير صحيح كما تؤكده بعض النصوص والوثائق التاريخية ،أما العثيمين فيرى أنه توفي في المدينة المنورة سنة 1340هـ اعتمادا على ما نشره ابن خميس في مجلة العرب الذي أثبت هذه المعلومة بدون ذكر لمصدره !! وهذا يعني أن وفاته في المدينة المنورة كانت قبل دخولها تحت مظلة الحكم السعودي مما يجعلنا في حيرة حول طبيعة العلاقة التي تربطه بالملك عبدالعزيز خاصة أن علي منصور أخوان الذي أرسل إليه ضاري رسالته سنة 1334هـ يعتبر من موظفي الدولة السعودية.

ونخلص من المصادر التي بين أيدينا إلى أنه خرج من حائل لاجئا إلى المدينة المنورة سنة 1326هـ ، وأنه كان في الهند للعلاج سنة 1331هـ ، وكان في البحرين سنة 1334هـ ، وكان في مكة المكرمة سنة 1337هـ ، ومات في المدينة سنة 1340هـ.

ومن المفارقات أن عبدالرحمن آل إبراهيم الذي استضاف ضاري في الهند سنة 1331هـ اعلن إفلاسه في نهاية الستة، وأن النسخة التي اعتمدها الجاسر في تحقيقه كتبها البستاني بخط يده في أيام سجنه بإسرائيل من دفتر اسماء الكشكول لا نعرف مصيره بعد وفاته سنة 1373هـ.

شعره :

من خلال بحثي حول هذه الشخصية فقد اطلعت على عدد من القصائد المنسوبة إلى هذا الشاعر ولكنني أكتفيت بإيراد نماذج من القصائد التي وثقتها المصادر ومن الأبيات المنسوبة إليه ما ذكره السويداء في قفافيته وأشار إلى أنه مليء بالمعاناة والطموح السياسي:

الله من نفس تهوم الطلوع
مثل الصقور يوم يكشف قناعه
أبكي على جملة مشاكل ربوعي
جماعتي ياوي والله جماعة
اقفت بهم سمر الليالي جموع
يلعنك دنيا كان مابك بشاعة
بليل الشنا دنيت اقوعي واتوعي
ليل الشنا ما نام به ربه ساعة .2

ومن شعر ضاري الذي أورده حمد الجاسر :

من عاش في الدنيا يشوف العبايرِ
بالحال يقذف حلوها مع مراره
باقلب باقلب الخطا والخسايرِ
ماحيّ إلا والنفير طق صاره
اعرف ترى ما قدّر الله صايرِ
ودنياك يكفي عن طوالة قصاره
ضنيت من قلبه على الكيف دايرِ
شفق وطربان لجمع التجارة
مهوب مثل اللي بالأفكار حايرِ
ليلة «بشنيان» ونهاره «جبارة»
على طلوع الفجر يعطي البشايرِ

لا شك يوم أصبح بكى من نهاره
بالبك تصاحب من يبوق السرايرِ
يودع إذا قفيت جلدك «سيارة»
ومن قصائده التي قالها أثناء إقامته في الهند وأورد بعض أبياتها الدكتور العثيمين بدون إشارة إلى مصدرها :

البارحة ما هشت العين برقاد
والكبد عن لذة طعامه معيّه
مفكر بالي وفكري غدا أبداد
من شوم حظي كن مالي نحية
ذكرت عصر فات ما هو برداد
دور مضى للعزوة الشمرية

ومنها :

وجدي على نجد ولا ملك بغداد
جوعه حلى من شبع غيره وريّه

الهوامش

1 – ذكريات العهود الثلاثة ،محمد حسين زيدان ، ص149 تصويب من فهد العريفي .
2 – قفافيت ،السويداء ،ج2/519

مصادر البحث :

1. نبذة تاريخية عن نجد ،تحقيق حمد الجاسر
2. نبذة تاريخية عن نجد،تحقيق عبدالله العثيمين
3. ذكريات العهود الثلاثة ،محمد حسين زيدان
4. قفافيت ج2، عبدالرحمن السويداء
5. مجلة العرب العدد 10 ربيع الآخر 1378هـ
6. مجلة الواحة ع 53 ، ربيع 2009

قاسم بن خلف الرويس

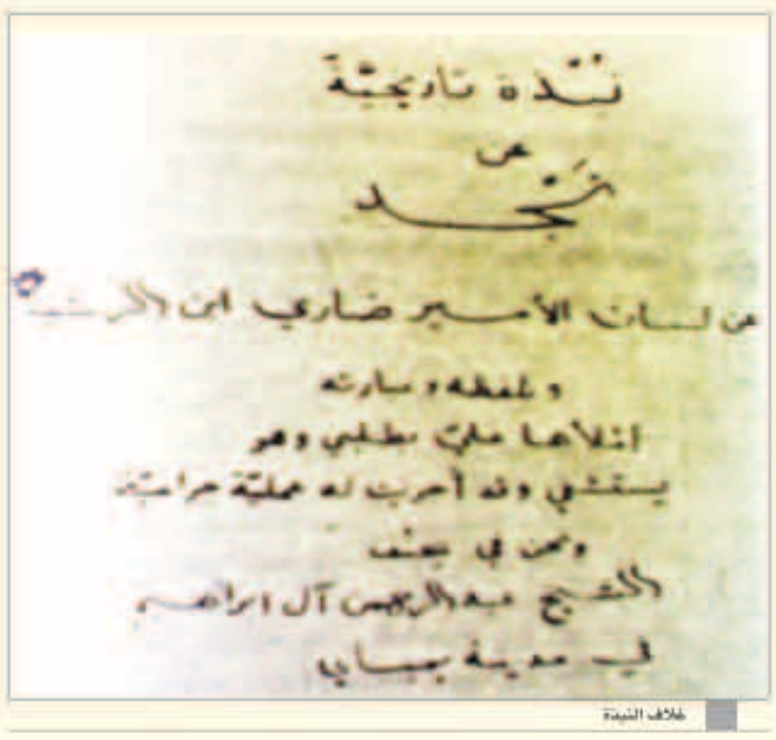

غلاف النبذة

أخبار وأحبار

الموت يغيب والد الشاعرة منتهى القريش

تتقدم بخالص العزاء لزميلتنا الشاعرة منتهى قريش التي فجعت بوفاة " والدها " الاسبوع الماضي ، سائلين المولى عز وجل أن يغفر له ويرحمه ويتقبله ويلقنه حجته ويثبته بالقول الثابت وان يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، انا لله وإنا اليه راجعون .

منتهى قريش

ويغيب شقيق الشاعر منصور الفهيد

تتقدم بخالص العزاء لزميلنا الشاعر منصور الفهيد الذي فجع بوفاة اخيه " محمد " يوم الأربعاء الماضي ، سائلين المولى عز وجل أن يغفر له ويرحمه ويتقبله ويلقنه حجته ويثبته بالقول الثابت وان يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، انا لله وإنا اليه راجعون .

منصور الفهيد

رفرفة

آخر بداية .. تموت لتحيا ، أو تموت لتموت !

الحياة تتطلّب خوذةً صلبة، تحمي رأسك من الضربات القاسية كي يظلّ سليماً أو على الأقل يؤدي غرض العيش بما يتناسب مع مآلك الذي اخترت.

مآلك هنا: هو الذي رَسمَ لك، ومشيتَ فيه مُختاراً.. تبذل لأجله من الأسباب ما يجعلك على جادة الوصول إليه، تعيش في غمرة من اللهو، أو جوّ من الزهد يقول لك أن الحياة فانية ولا يبقى لك فيها سوى ما زرعت، ولن تأكل إلا إياه.

ويا للغرابة ..!

الكثير جداً يعلم تلك الحقيقة علم اليقين ولا يُؤخّر أجلاً من الشقاء كما يتهيّأ له، ولا يُقدّم حصة من الهناء كما يزعم.

الإختيار لك، والنتيجة راجعةٌ إليك، والهوى مُقادٌ أو مَقود.. كل يعمل على شاكلته وما أوتيَ من الإدراك وتغليب الأفضل على الأسوء إن لم يخالط ذلك تسويف يقلّبُ الموازين وتقضي فيه الآجال.

أأدركت أم لم تدرك ذلك.

الجهل غير مسوّغ لصدودك، ولحاقك بركب الهائمين على وجوههم يبتغون عرض الحياة وطولها دون أن يحدّهم فقدٌ عزيز ويعتبرون من قصرها ونهايتها، ولا العلم برادّك عن ترفيه نفسك ومنحها ما تستحق من الفرح ونيل ملذاتها من الحلال، ومن يصوّر لك المسألة على خلاف هذا النحو أيم الله هو كاذب.

لقد تقاضت الحياة ممن قضوها على غير هدىً ولا إيمان وفساد كبير بالفناء، وفاجعة سوء عقبى الدار، وأما من أحسنوا فيها وقدّموا ما يملكون لينالوا وعد آخراهم فإنها أخذت بعضهم على أحسن حال، وتركت آخرون يفتدون بفعلهم من فعل فينجو، ويتجاهله من لا يقدّر للآخرة سعيها فيهلك.

إن الحياة بصورة بسيطة خالية من الشوائب، والتحريف: تموت لتحيا، أو تموت لتموت !

أيهما اخترت: فأنت ظافرٌ به .

لفلة محمد
" عبرات الرحيل "